دور الطريقة الصالحية في مقاومة الإستعمار الغربي في الصومال

أ . فادية عبد العزيز القطعاني
مركز جهاد الليبيين . فرع بنغازي

مقدمة

إن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه الطرق الصوفية ، وما تفرع عنها من قيادات وزعامات إسلامية ، كان بمثابة قاعدة قوية لدمج وتفاعل مجموعة من القيم والمبادئ الإنسانية ، كالمجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية ، وكل ذلك من أوائل منازل الصوفية ، وهذا في الواقع جزء من منظومة العقيدة الإسلامية ، وهذا المنطلق يمهد الطريق لفريضة هامة ألا وهي فريضة الجهاد بمفهومه الشامل التي تستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم . ولهذا كان الجهاد فريضة محكمة ، وشعار المؤمنين الموحدين ، وليس وليد تعصب ديني ، أو وليد روح عدوانية ، وإنما هو مبدأ تصحيحي لمسار الإنسانية نحو الخير ، وهذا ما دلت عليه صور التضحية المثلى في مختلف أشكالها ، والبطولة في أسمى معانيها ، ببذل النفس والمال في سبيل الله ردعاً للعدوان .

فالعقلية الإيمانية ، والروح الجهادية التي امتازت بها الطرق الصوفية هي نتاج تعليم ديني ، وتربية إسلامية وعلاقة انسانية ، تنقلها الخلف عن السلف ، وكان منبعها الإسلام وتنوعه الثقافي (الإثني واللغوي) ، فالمجاهدون هم حماة الإسلام في كل زمان ومكان .

وتحاول هذه الدراسة تتبع دور الطريقة الصالحية بقيادة زعيمها الشيخ محمـد بـن عبـد الله حـسن نـور ، في مقاومـة الاسـتعمار الأوربـي في شـرق أفريقيـا ، الـصومال تحديدا ، وذلك من خلال طرح النقاط التالية :

1. دوافع الصراع الاستعماري علي الصومال .
2. الطريقة الصالحيـة .
3. مقاومة الطريقة الصالحية للاستعمار الغربي في الصومال .
4. نظرة تحليلية للدور الجهادي للطريقة الصالحية في الصومال .

أولا : تصارع القوى الاستعمارية على الصومال

يعتبـر الربع الأخير من القرن التاسع عشر فترة من أعنف فترات التسابق المحموم بين الدول الأوربية ، من أجـل الـسيطرة الكاملـة علـى أفريقيـا ، ولهـذا تحولـت أفريقيـا إلى مسرحٍ وهدفٍ للصراع الاستعماري ، خصوصا بعد انسحاب الحامية المـصرية مـن الصومال وشرق أفريقيا .[1]

واعتبـرت هـذه المنطقـة أرضـا لاصـاحب لهـا ، وهنـا بـدأ التنـافس بـين القـوى الاستعمارية لملء الفراغ في المنطقـة ، وذلـك بتقـسيم الـصومال بـين بريطانيـا وفرنـسا وإيطاليا ، وفقا لما جاء في مؤتمر بـرلين **1884** في تقـسيم تركـة (الرجـل المـريض) ، فكانت أفريقيا الهدف المباشر لتحقيـق الأطمـاع الاسـتعمارية .[2] يـضـاف إلى هـذا أن التغلغل الاستعماري في منطقة القرن الأفريقـي قـد أسـهمت فيـه عوامـل أخـرى ، منهـا خارجية فرضتها الأوضاع الدولية ، وأخرى داخلية تعود إلى شعوب المنطقـة في المقـام الأول ، واستغلت من قبل القوى الإمبريالية .

فعلى الصعيد الخارجي يلاحظ ما يلي :

1 ـ كان شـق قنـاة الـسويس في سـنة **1869** ، ومـا يمثلـه مـن أهميـة لمنطقـة حـوض المتوسط، جعل من شرق أفريقيا محل تنـازع القـوى الأوربيـة وتناحرهـا : بريطانيـا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا .[3] فالقناة تعتبر أقصر الطرق المؤدية للهند وجزر المحـيط

(1) محمـد صفي الدين ، أفريقيا بين الدول الأوربيـة(مصر ، دار مصر للطباعة 1959) ص 147 .
(2) عطية مخزوم الفيتوري ، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، ط1(بنغازي ، منشورات جامعة قاريونس (1998) ص 205 .
(3) محمد صفي الدين ، مصدر سابق ، ص 146 .

الهندي ومدغشقر وشرق أسيا ، مما أكسب القرن الأفريقي أهمية استراتيجية خصوصا بالنسبة لبريطانيا . إذ أصبح البحر المتوسط والبحر الأحمر بعد شق القناة يمثلان لها أقصر وأسرع طريق إلى ممتلكاتها بالمحيط الهندي ، ويعدان بحق محور الإمبراطورية البريطانية . (1)

2 ـ الثورة المهدية (**1881** ـ **1898**) في السودان ، وما مثلته من مد إسلامي ، وقد ينذر الوجود الأوربي ويهدد التوسع الغربي المسيحي الذي لاحت بوادره بتوافد البعثات الكشفية الجغرافية والعلمية .

أما على المستوى الداخلي أو المحلي فكان التالي :

1. حالة عدم استقرار بسبب الحروب المستمرة في المنطقة بين مملكة الحبشة المدعومة ماديا وعسكريا من الدول الاستعمارية ، وبين الإمارات الإسلامية التي كانت أمام خيارين ، أما الرفض الكامل للاستعمار ، أو القبول بالتفاوض معه ، لضمان الاستقلال السياسي .
2. تفاقم الأوضاع السياسية والاجتماعية ، وغياب القيادة السياسية الموحدة للإمارات الإسلامية ، نتيجة للصراع على النفوذ السياسي والتجاري بين الممالك والإمارات الإسلامية .

هيأ هذا الوضع المتفاقم سياسيا وعسكريا للدول الاستعمارية ، مد نفوذها في المنطقة ، والتحكم في الطريق الاستراتيجي (مضيق باب المندب) ، والسيطرة التامة علي الممرات التجارية الدولية . وكانت بريطانيا أول من بادر إلى تعزيز تواجدها في المنطقة، ثم تلاها الخصمان كل من فرنسا وإيطاليا . (2)

وعلى هذا الأساس تم تقسيم الصومال بين هذه القوى الاستعمارية الثلاث ، حيث اعتبرت بريطانيا نفسها الوريث الشرعي للحكم المصري في السواحل الصومالية ، بعد زوال النفوذ العثماني المصري في منطقة السودان .(3) كما ادعت أن من حقها كدولة

(1) المصدر نفسه ، ص 148 .

(2) عبد القادر صالح محمد ، الخلفية التاريخية للنزاع الصومالي الأثيوبي حول إقليم أوجادين(الصومال الغربي) ، مجلة البحوث التاريخية ، س 10 ، ع1 ، يناير 1988(طرابلس ، مركز دراسة جهاد الليبيين) ص 125 ، 126 .

(3) عبد العزيز كامل ، الصومال وطنا وشعبا ، ط 1(القاهرة ، دار النهضة العربية 1962) ص 40 .

بحرية استعمارية أن تـؤمن الممـرات والمـداخل البحريـة المؤديـة إلى مـستعمراتها في الشرق الأدنى والأقصى والمحيط الهادي من خلال الـسيطرة الكاملـة علـى مـضيق بـاب المندب ، وقد حصلت علـى ذلـك بعـد أن عقـدت اتفاقـات **1884 ـ 1886** مـع زعمـاء وشيوخ القبائل الصومالية « اتفاقات الـصداقة والحمايـة » . وفي عـام **1887** أعلنـت عـن تأسيس مستعمرة الصومال البريطاني ، وبهذا تكـون قـد مكنـت لوجودهـا في الـسواحل الصومالية مما يوفر لها فرصـة حمايتهـا بمواجهـة منافـسيها فرنـسا وإيطاليـا في القـرن الأفريقي . (1)

كانت فرنسا من جانبها تـسعى لإنـشاء قاعـدة لهـا في البحـر الأحمـر ، وبالـذات في مدخل باب المندب ، وذلك لربطها بمستعمراتها في كل من جزيرة مدغشقر والهنـد الصينية ، ولتحقيق ذلك سلكت نفس نهج بريطانيا بأن دخلت في مفاوضات مع سلاطين عفر (دنا كل) ، مستغلة النزاعات المحلية وتغليب مجموعة على أخـرى لبـسط نفوذهـا في القرن الأفريقي . كمـا تمكنت فرنسا من التغلغـل في المنطقـة ، عـن طريـق توسـيع التبادل التجاري فيما يخص تجارة الأسلحة التي كانت مربحة آنذاك ، كـذلك اسـتطاعت أن تعزز من وجودها هنـاك مـن خـلال عقـد اتفاقـات الحمايـة ، والـدفاع مـع القبائـل العفرية، ومع قبائل عيسي الصومالية ، وهذا الوضع مكنها في **1885** من إنشاء مستعمرة الصومال الفرنسي ، وفي عام **1892** نقلت نشاطها من منطقة أبوك إلى جيبوتي . (2)

أما إيطاليا فقد مهـدت لوجودهـا في الـصومال بريطانيـا في محاولـة للحـد مـن نفوذ منافسيها في المنطقة ، (3) حيـث رأت بريطانيا في إيطاليا الحليف المناسـب لمـلء الفراغ في السواحل الصومالية ، فتكون بمثابة عـازل لمنـع امتـداد الزحـف الفرنـسي في المنطقة ، ومن جهة أخرى تساند بريطانيا في حرب المهديـة في الـسودان لإيقـاف المـد الثوري في المنطقة ، لهذا شجعت إيطاليا على التوسع في الصومال . (4)

دخلـت إيطاليا الصومال بحجـة حاجـة الـسفن الإيطاليـة إلى محطـات تمـوين ، وهـذه هـي نفـس الطريقـة التقليديـة الـتي نفـذت بهـا القـوى الأوربيـة الأخـرى إلى

(1) عبد القادر صالح محمد ، مصدر سابق ، ص 126 .
(2) المصدر نفسه ، ص 148 .
(3) عبد العزيز كامل ، مصدر سابق ، ص 49 .
(4) عبد القادر صالح محمد ، مصدر سابق ، 129 .

أفريقيا . قواعد على الساحل تمثل محطات تموين للسفن مع إنشاء علاقات تجارية مع ظهير هذا الساحل . [1] كما حاكت إيطاليا شريكتيها ، فعقدت اتفاقات الصداقة والحماية في عام **1889** مع الزعماء الصوماليين . [2]

ومن خلال تلك الاتفاقات دمجت إيطاليا كل المدن الساحلية على المحيط الهندي تحت اسم الصومال الإيطالي ، باستثناء تلك السواحل الصومالية المقابلة لخليج عدن التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني .

وهكذا يتضح لنا أن هذه المرحلة من تاريخ الصومال من عام **1884** حتى عام **1914** ، تشكل فيها الوجود الاستعماري الغربي في الصومال من خلال عقد الاتفاقات والمعاهدات مع زعماء القبائل الصومالية ، تحت ما يسمى باتفاقات الصداقة والحماية ، وتشكلت معه وبه خريطة الصومال .

وقد اهتمت الدول الاستعمارية بعد تقسيم المنطقة فيما بينها ، والتغلغل إلى المناطق الداخلية بوضع علامات أو حدود لتحديد الأقاليم الخاضعة لنفوذها ، لتجنب النزاع فيما بينها ، ولكن أيا كان تقسيم الحدود ومدى دقته أو عدمه وملائمته للبيئة الطبيعية والبشرية ، أو عدم ملائمته لسكان الصومال إلا أنه في كل الأحوال مثّل مشكلة قومية . فالتقسيم الاستعماري للصومال ، كان عاملاً أساسياً في تجزئة وحدته القومية المتمثلة في وحدة الأصل واللغة والدين ، إضافة إلى الأسلوب الواحد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، هذا من ناحية . أما من ناحية أخرى فقد شكل وجود الاستعمار الغربي في الصومال بكامله ، تهديدا للثقافة والهوية الصومالية والمتمثلة في الثقافة الإسلامية . إذ حاول هذا الاستعمار من خلال المبشرين تحويل الصوماليين عن الإسلام إلى المسيحية ، وذلك ببناء مدارس مع طلائع النشاط التبشيري الواسع في ظل حماية السلطات الاستعمارية .

فهذا التحدي الاستعماري أجج روح المقاومة لدى الصوماليين من أجل التحرر ، وتأكيد وحدة الأصل واللغة والدين حتى الوقت الحاضر . في هذه الأثناء برز دور الطرق الصوفية كردة فعل للتصدي للمخططات التي تستهدف الشعب الصومالي في عقيدته وكيانه ، ومن أبرز الطرق الصوفية الطريقة الصالحية بقيادة زعيمها محمد بن عبد الله

(1) محمد صفي الدين ، مصدر سابق ، ص 150 .
(2) عبد العزيز كامل ، مصدر سابق ، ص 51 .

حسن نور للوقوف ضد التغلغل المسيحي الاستعماري في البلاد ، والدعوة إلى الجهاد المقدس باسم الإسلام .

وتعتبر الطرق الدينية من أهم الظواهر الإسلامية في الصومال ، فقد ارتبط انتشار الإسلام في هذه المنطقة من أفريقيا بالطرق الصوفية ، وما أدته من دور بارز في نشر الإسلام ، وفي الحفاظ على قيمه ومبادئه وفي التصدي للمبشرين المستعمرين .

ويبدو من المفيد إلقاء نظرة عامة على التصوف الإسلامي ، قبل أن نتناول الطريقة الصالحية ، لما لهذه الخلفية من أهمية في معرفة الأسس والعناصر المكونة للتصوف ، وتأثيرها على الطرق التي انبثقت عنه ، ومن ثم سنحاول تتبع الطريقة الصالحية لنتبين قدراتها الدينية والعلمية والتعليمية ، ومدى تأثير ذلك في المجتمع الصومالي .

اختلف مؤرخو الأدب في وجه اشتقاق كلمة (صوفية) لكن ما أجمع عليه الباحثون قديما وحديثا أن كلمة صوفية مشتقة من الصوف ، وكان الصوف اللباس الغالب على الزهاد والعباد [1] واصطلاحا ، هو منزع علمي وعملي ، نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامية منذ أول نشأتها في صدر الإسلام ، وعلى تعاقب الأطوار التي مرت بها في تطورها التاريخي .

فالتصوف بهذا المعنى هو مرآة هذه الحياة الروحية الإسلامية التي يخضع فيها الإنسان نفسه لألوان من الرياضة والمجاهدة ، ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمشاهدة . وهي تقوم أولا على ما اقتدى فيه المسلمون بالنبي ﷺ من زهد ونسك وتقوى ، وقد انطوى التصوف الإسلامي في تطوره على عناصر نظرية وعملية وروحية تكشف دارستها عن قواعده في السلوك ، ومبادئه في الأخلاق ، ومناهجه في تذوق الحقائق ومعرفة الدقائق ، ولاسيما ماكان متصلا بمعرفة حقيقة الذات الإلهية ، التي يعدها الصوفية المتفلسفون المنبع الفياض لكل ما يتجلى في الكون من آيات الحق والخير والجمال .

والتصوف في تكونه العلمي أحد قسمي علم الشريعة الذي انقسم في تطوره إلى علمين : علم اختص به الفقهاء في الأحكام العامة والعبادات والمعاملات ، ويسمى بعلم الظاهر . وعلم اختص به الصوفية وأهل الباطن ويشتمل على أحوالهم واحكامهم في

(1) عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط 2(بيروت ، دار العلم للملايين 1979) ص 470 .

المراقبات والمحاسبات والرياضات والمجاهدات والأذواق والمواجيد ، وغير ذلك مما يتصل ببواطن القلوب ، ولذلك سمي هذا العلم باسم علم الباطن . (1)

وبعيدا عن الاختلاف بين الفقهاء والصوفية ، ونظرة كل منهما لمفهوم التصوف ، نجد الغزالي قد آثر التصوف على غيره من العلوم ، وهذا ما يبرهن عليه كتابه (إحياء علوم الدين) الذي يبرز اتجاهه العملي في الحياة ، وعلى سلوكه الصوفي في العبادة والتفكير والمعاشرة ، فهو كتاب فقه واخلاق ممزوجين بالتصوف وهنا ما جعله علما مدونا عن التصوف في الإسلام بعد أن كان عبادة فقط يتلقى المتصوفون أحكامها وآدابها بالرواية ، يأخذها كل مريد عن شيخه . (2)

ونظرة الغزالي للتصوف تنبع من أن الأساس الأخلاقي هو الركيزة التي يقوم عليها التصوف ، والمتمثل في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية ، وكل ذلك يعد عنده من أوائل منازل الصوفية . (3)

وقد تشعبت وتفرعت المذاهب الصوفية في أهدافها وممارستها ، فكان منها حركات صوفية ذات طابع علمي وفلسفي ، ومنها ما كان حركات عملية للشيوخ والفقهاء الذين يلتف حولهم المريدون يسلكون طريق الله ، يحققون معه كمال العلم والعمل بأنماط وطرق مختلفة . ومن هذه الطرق على سبيل المثال :

- الطيفورية ، نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي .
- والجنيدية ، نسبة إلى أبي القاسم الجنيد .
- والقصارية ، نسبة إلى حمدون القصار .
- والقادرية ، نسبة إلى عبد القادر الجيلاني .
- والرفاعية ، نسبة إلى أحمد الرفاعي .
- والبدوية ، نسبة إلى أحمد البدوي . (4)
- والسلامية الشاذلية ، نسبة إلى سيدي عبد السلام بن سليم الأسمر .

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة(القاهرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1965) ص 526 .

(2) عمر فروخ ، مصدر سابق ، ص 509 .

(3) الأمام أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، المجلد الرابع(الأجزاء 10 ـ 12) ط1(بيروت ، دار الفكر 1975 ص) من الجزء 11 .

(4) الموسوعة العربية الميسرة ، مصدر سابق ، ص 526

- والسنوسية ، نسبة إلى محمد بن علي السنوسي [1]
- والأحمدية ، نسبة إلى أحمد بن إدريس .
- والصالحية ، نسبة إلى محمد بن صالح . وغيرها كالمهدية والخلوتية والنقشبندية . . . الخ .

وكان أساس الطريقة عند أئمة الصوفية ، يقوم على (تقليل الطعام ، وتقليل الكلام ، وتقليل المنام ، واعتزال المنام والذكر المدام والفكر التام) أي التفكر في مصنوعات الله تعالى بصفاء قلب . وعندهم أن ذلك يؤدي إلى نفي مساوئ الأخلاق والتحلي بمكارمها وانجلاء الظلمات الدنيوية عن القلب وتجلي الحق فيه . [2]

يتضح مما تقدم أن التصوف الإسلامي ، وان بدأ استمرارا لحركة الزهد الإسلامية الأولى ، ألا أن ما ارتبط به من طرق ، جعلته يتخذ مدلولا خاصا ، تعبر عنه مجموعة الآداب والأخلاق والعقائد التي يتمسك بها الصوفية وهي في أساسها أفرزتها العقيدة والثقافة الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أما الطرق الصوفية في الصومال ، فقد تعددت ، منها القادرية التي تغلغلت في داخل الصومال ، وزاد نفوذها في **1819** عندما أسس الشيخ إبراهيم حسن جبرو مركز لها عند بلدة ، تقع على نهر جوبا اسمها برديوه . كذلك الطريقة الأحمدية والطريقة الرفاعية والطريقة الميرغينية والطريقة الدندرية ، وفي هذه الورقة سنركز الاهتمام على الطريقة الصالحية . [3]

ثانيا : الطريقة الصالحية

تنسب إلى محمد بن صالح ، وهو ابن أخ إبراهيم الرشيد ، أحد تلاميذ أحمد بن إدريس ، مؤسس الطريقة الأحمدية التي هي فرع منها ، وقد توفي محمد بن صالح في عام **1919** وقام بنشر طريقته الشيخ محمد جوليد أحد تلاميذه ، وكان الشيخ محمد بن صالح قد عينه خليفة على الطريقة في الصومال . وقد أسس الشيخ جوليد زاوية ومركزا لاستقرار الطريقة الصالحية في منطقة ما بين بلدتي (جوهر وبلعد) على نهر

(1) عامر النجار الطرق الصوفية في مصر(مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب 2004) ص 375 ، 378
(2) نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، ط 2(بيروت دار الثقافة 972) ص154 .
(3) عبد الرحمن النجار ، الإسلام في الصومال ، (مصر ، مطابع الأهرام التجارية . 1973) ص 168 للمزيد حول الطرق انظر ص 68 ، 70 ، 71 .

شبيلي . ومن أشهر مشايخ هذه الطريقة الشيخ علي نيروبي الذي أسس مركزا لها جنوب بلدة (برديرة) . واصحاب الطريقة الصالحية في الإقليم الشمالي من الصومال كانت لهم سياسة حكيمة ، وقناعة لعقيدتهم الدينية ، ومن شيوخها الكبار الشيخ عثمان عمر ، وله مكانة عظيمة في نفوس مريديه ، وكذلك الشيخ محمود عثمان . أيضا انتشرت الطريقة الصالحية بين سكان المنطقة الواقعة بين (مجرتينا) وبين الصومال الشمالي كما انتشرت في (الاوجادين) وفي بعض مناطق جنوب الصومال ، وكان لانتشار هذه الطريقة أثر كبير في الحفاظ على اللغة العربية ، باعتبارها لغة الإسلام ولغة القرآن الكريم . (1)

ومن أبرز اتباع هذه الطريقة المجاهد الصومالي محمد بن عبد الله حسن نور الذي يلقب بمهدي الصومال (2) ، ويعرف كذلك بـ (الملا) . (3) بمعنى الشيخ .

ولد محمد بن عبد الله حسن في بلدة فوب فردوت في إقليم الأوجادين ، شمال غرب الصومال علي الحدود الحبشية مابين عامي **1856** ، **1864** (4) (5) وتذكر بعض المصادر أن محمد بن عبد الله في الأصل ، من قبيلة عربية هاجرت إلى الصومال في القرن السابع الميلادي واستوطنتها . (6)

نشأ محمد بن عبد الله في أرض أخواله (دولبهنته) وهو اسم القبيلة التي تنتمي اليها والدته وتدعى (تمر بنت صيد) (7) .

بدأ محمد في حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثامنة من عمره ، ثم درس اللغة

---

(1) المصدر نفسه ، ص 70 ، 71 .

(2) عن المهدية في الإسلام ، مهدي أهل السنة والشيعة ومدعو المهدية في الإسلام . انظر نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 144 – 152 .

(3) نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 149 .

(4) اختلفت المصادر حول تاريخ ميلاد الشيخ محمد بن عبد الله حسن نور زعيم الحركة الصالحية في الصومال ، فالبعض ذكر أنه عام 1856 والبعض الآخر ذكر 1864 ونظرا لندرة المصادر حول هذا الموضوع لم نستطع تحديد التاريخ بدقة .

(5) عبد الرحمن النجار مصدر سابق ، ص 77 .

(6) شوقي الجمل ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها(القاهرة ، مكتبة ألا نجلو المصرية 1971) ص 630 .

(7) عبد الصبور مرزوق ، ثائر من الصومال(مصر ، الدار القومية للطباعة والنشر) ص 14 .

العربية وعلوم الشريعة على شيوخ البلاد ، ثم عمل بتدريس ما تلقاه من العلـوم لإخوانـه الصوماليين ، فاشتهر بين المعلمين بسعة الاطلاع وغزارة العلـم والمعـارف حتـى لقـب بالفقيه البارع ، لما يمتاز به من عمق الـتفكير وبراعـة التعـبير والإقنـاع . وعنـدما رحـل إلى مكة لاداء فريضة الحج التقى هناك بمؤسس الطريقة الصالحية الشيخ محمـد صـالح السوداني . [1] الذي تتلمذ عليه حتى أجازه ووجهه لنشر الصالحية في الصومال .

وعندما عاد الشيخ محمد بن عبد الله في عـام **1896** ، أنـشأ مركـز النـشر تعـاليم الطريقة الصالحية في (بربرة) ، وأخذ من هذه الطريقة ينشر قيم الإسلام ومبادئه ويحـث إخوانه على الكفاح في سبيل نشر الإسلام ، ومناهضة أعداء الـدين والـوطن . وفي تلـك الأثناء كان الوجود البريطاني في المنطقة يمـارس نـشاطه التبـشيري بالمـسيحية ، ويـبني الكنائس ، وهو ما أثار الغيرة الدينية عند الشيخ محمد بن عبد الله ، والتف حوله الأتبـاع الذين كانوا يـستمعون ويتمعنـون فيمـا يقولـه لهـم مـن كـلام الله والحـديث ، ومـا كـان ينظمه مـن الـشعر بالعربيـة والـصومالية . [2] واستطـاع الـشيخ محمـد زعـيم الطريقـة الـصالحية أن يكـون حولـه مجموعـة ممتـازة مـن المـؤمنين بدعوتـه أطلـق علـيهم اسـم (الدراويش) . وتقول بعض المصادر إن الهدف من وراء تسميتهم بالـدروايش ، هـو أبعاد أي لبس ممكن أن تسببه التسميات الحزبية والقبلية . [3]

ومهمـا يكن من أمر ، فقد نادت هذه الطريقة بمحاربة العصبية وتنظيم المجتمـع الصومالي على أسس دينية سـليمة خاليـة مـن التعنـصر ، كمـا كانـت تـدعو إلى البـذل والتضحية ، وإلى رفع راية الجهاد ضد الاستعمار واعداء الدين . [4]

وأثر نزول البعثات التبـشير تحـت الحمايـة البريطانيـة أرض الـصومال الـشمالي عام **1897** وجدت الطريقة الصالحية نفسها في مواجهة مباشرة مع أعداء الدين والوطن ، وبالتالي أعلنت الجهاد المقدس ، فاتصل الشيخ محمد بالإنجليز لابعـادهم عـن الـوطن المسلم دون مواجهة . ولكنهم ماطلوه ، ثم انفجر الموقف على أثر إطلاق رصـاص مـن أحد المبشرين في العاصمة بربرة علي المؤذن في مسجد كان قريبا ، بدعوى أنه يزعجه

(1) عبد الرحمن النجار ، مصدر سابق ، ص 78 .
(2) المصدر نفسه والصفحة .
(3) عبد الصبور مرزوق ، مصدر سابق ، ص 29 .
(4) عبد الرحمن النجار ، مصدر سابق ، ص78 .

بالآذان . كان هذا الحادث نقطة البداية في دخول الشيخ محمد بن عبد الله إلى الحياة الصومالية من بابها الواسع ، وبدأت ملامح الطريقة واتجاهاتها تتحدد في الأوساط الشعبية . إذ ثبت له أن لاسبيل لتخليص الشعب الصومالي من الاستعمار الغربي إلا بالكفاح المسلح . (1)

من هذا المنطلق يمكننا القول : إن الطريقة الصالحية بدأت حركة دينية ، ولكنها تحولت بالضرورة إلى حركة سياسية ضد الوجود الاستعماري الاوربي المسيحي في المنطقة ، وما يقوم به من ممارسات ، مناهضة للعقيدة الإسلامية ولوحدة الصومال القومية .

ثالثا : مقاومة الحركة الصالحية للاستعمار الغربي في الصومال

انطلقت الحركة الصالحية ، في جهادها ضد الاستعمار الغربي في الصومال ، من ثوابت لها مرجعية دينية ، هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فكانت دعوتها شن حرب مقدسة مثيرة للنزعة الدينية عند الصوماليين ، خاصة أن زعيمها الشيخ محمد بن عبد الله كان يرى أن الإعداد للجهاد يتطلب تعبئة روحية ، لأنها هي العصب الحساس والمؤثر ، ومن ثم كانت طريقته ودعوته تعتمد على الكلمة المنطوقة ، سواء كانت خطبة أو درساً أو قصيدة . فكان يهيئ الشعب معنويا للمقاومة بإعلان رأي الدين في كل ما يتصل بقضية بلاده من مسائل ، وبالتالي كانت الطريقة الوسيلة المثلى الملائمة لظروفه وإمكانيات حركته بالنسبة لزمنه . فمن كلماته في هذا الصدد ، على سبيل المثال لا الحصر :

« كيف نطمئن لسيطرة أجنبي لا يجمعنا وإياه جنس ، ولا دين ، ولا لغة ، ولا وطن ، ولا يضمر لنا في قلبه ألا الحقد والشر ، ويعمل دائما لتمزيق وحدتنا وتحطيم قوميتنا وكرامتنا ؟ إذا لم نقم لنتحرر من الاستعباد والاستذلالال بعزيمة قوية ، وإذا لم نوحد صفوفنا في سبيل ذلك فمن الذين يؤدون عنا هذا الواجب ؟ ويدفعون أعداء الدين والحرية عنا ، وعن بلادنا وعن عقيدتنا واخلاقنا » (2)

ولم تكن الخطابة وإلهاب المشاعر كل شيء عند الحركة الصالحية ، فإلى جانب الإعداد النفسي والمعنوي للجهاد ، عرفت الطريقة حسن التنظيم والإدارة والأعداد المادي

(1) عبد الصبور مرزوق ، مصدر سابق 21 .
(2) المصدر نفسه ، ص23 .

لأعضاء الطريقة ، فمن الناحية الإدارية وضع الشيخ محمد بن عبد الله خطوات تنظيمية لفرقة الدروايش من الناحية الداخلية ، تكفل سهولة السيطرة ، وتضع الرجال في مراتب وأماكن مناسبة لقدراتهم على النحو التالي :

1. تقسيم الدروايش إلى فرق ، على أن تتكون كل فرقة من جميع القبائل تفاديا للكثير من المشاكل ، وضمانا للرقابة في تصرفاتها .
2. تتقدم كل فرقة مجموعة من القواد سماهم «المقدمين» يكونوا مسئولين عن إدارة دفة المعركة ، وكل قائد مع فرقته . مما يمنح الحركة السريعة عند مواجهة الخطر .
3. هذا التقسيم لفرقة الدروايش قسم بدوره إلى قسمين :

أ . الخواص ، وهي المجموعة التي أنشأها الشيخ محمد على منهجه الديني الصوفي وأعدهم أعداداً روحيا خاصا ، وتدربوا تدريبا عسكريا خاصا لا يتوافر للآخرين ، كان هؤلاء موطن ثقته ، وقد ادخرهم لمواجهة الاستعمار الغربي عامة ، والإنجليزي خاصة .

ب . عامة الدروايش ، وقد شكلوا القوة العسكرية الضارية للجيوش المحلية من الأحباش ، أو من الصوماليين .

أما الأسماء التي أطلقها على الفرق فكانت كما يلي :

1 ـ ميننل : هم أصحاب الميمات لأن علامة أسلحتهم كانت «م . م»

2 ـ شيخيال : وهم أصحاب المشايخ وأكثر هذه الفرقة من العلماء ، وكان والد الشيخ محمد منهم .

3 ـ غلوين : هم أصحاب الحظائر الواسعة ، وهم المسئولون عن الخيل .

4 ـ انط بدن : هم أصحاب العيون الكبيرة . والمراد عيونهم ، وما يحرسون من إبل وأنعام .

5 ـ كرب سري : يعني الجناح الأعلى .

6 ـ كرب هوس : يعني الجناح الأسفل .

7 ـ تاركوي : المجموعة المتخصصة في قطع الأسلاك الشائكة التي يتحصن بها الإنجليز .

8 ـ ترغ حن : هم الضعفاء الذين لا تتوفر فيهم القوة للعمليات الحربية .

9 ـ ظربش : هم الذين تنقصهم صفة الحزم .

وضمن هذا الإطار ، اصطنع شارات عسكرية مشابهة لما يستخدم في الجيوش

الحديثة . [1]

أما ما يخص عملية التسليح ، فقد استأجر كثيرا من الحدادين ليصنعوا الرماح والسيوف والنبال والقسي ، بالإضافة إلى حصوله على عدد قليل من الأسلحة النارية ، وعدد وفير من الخيول . كذلك قام ببناء بعض الحصون كمخازن لإيداع الأسلحة والذخائر والعتاد الحربي ، كما حفر عددا من الآبار لتوفير مياه الشرب لجنوده وعلى جانب آخر ، اهتم الشيخ محمد بالنواحي العامة لفرقة الدروايش من حيث تعيين قضاة للخصومات ، وقضاة للموروايث ، وآخرين للزكاة ، وللزواج والطلاق ، ولحفظ الشعائر الدينية من صلاة وصيام وغيرها . كما عين رجالا أكفاء لتعليم العلوم الإسلامية والأدبية ، بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الحديث النبوي . [2]

ومع كل هذا ، كان الشيخ محمد يدرك أن ميزان القوى بينه وبين قوى الاستعمار الغربي غير المتكافئ ، غير أنه استطاع بإيمانه وعزيمته وعلمه وموهبته الفطرية أن يصنع النصر من أسباب الهزيمة ، وأن يصمد في وجه أعدائه أكثر من عشرين عاماً .

خاض الشيخ محمد بن عبد الله أولى معاركه في جججة ضد الأحباش في **1900** لإغارتهم بإيعاز من بريطانيا على إحدى القبائل الصومالية في أوجادين ، وانتصر عليهم وغنم في هذه المعركة كمية من العتاد قوّى بها دعوته وباتت مدينة (هرر) المسلمة في متناول يد المجاهدين . ولكن الشيخ محمد اضطر للانسحاب شمالا تجاه منطقة النفوذ الإيطالي ، نتيجة تعاون الأحباش مع البريطانيين في حملة مشتركة ضده . حاول البريطانيون والأحباش تعقبه لكن المحاولة باءت بالفشل . واستقر الشيخ محمد في الصومال الإيطالي لفترة كان يهاجم فيها من أرضه الصومال البريطاني ، حاولت بريطانيا القضاء على مقاومة الصوماليين بقيادة الشيخ محمد ، بأن أرسلت في آثره داخل الصومال الإيطالي حملات في الفترة من **1901** حتى **1904** فشلت جميعها . وهي على التوالي « معركة فرطدن » التي تحالف فيها البريطانيون مع الأحباش في **1901** ، ومعركة « بيرطكا » [3] في عام **1902** التي انتهت بإلحاق الهزيمة والخسائر بالقوات

---

(1) المصدر نفسه ، ص 32 ـ 34 .

(2) المصدر نفسه ، ص 29 ، 35 ، 36 .

(3) بيرطكا : معناها الانبطاح . لأن الجيش الإنجليزي كان يطلق النار وهو في وضع الانبطاح ، المصدر نفسه ، ص 48 .

البريطانية والحبشية . ثم معركة «عفاروين» وهي من أبرز المعارك التي لاقى فيها الشيخ وأتباعه تحالفا بريطانيا إيطاليا حبشيا وذلك في عام **1903** إلا أن الشيخ محمد استطاع أن يشتت هذا التحالف ، ويغنم ما يعينه على مواصلة الجهاد ضد المستعمرين . (1)

لكن على الرغم من هذه الانتصارات التي حققتها الحركة الصالحية إثناء مقاومتها للاستعمار الغربي ، وذلك من خلال خوض سبع وعشرين موقعة في الفترة من **1900 ـ 1904** ، إلا أنها ذاقت الهزيمة في معركة «جديال» في **1904** أمام قوات التحالف البريطانية والحبشية ، حيث يرجع السبب في ذلك إلى سوء التخطيط وعدم الانضباط في صفوف الدراويش . (2)

على أية حال ، أدى تفاقم الوضع الذي ألهبه نضال الحركة الصالحية إلى خشية إيطاليا على نفوذها في المنطقة . إذ أن مضيها في ركب السياسة الإنجليزية والحبشية كلفها الكثير من المال والعساكر ، بل إنه كاد يفقدها الجزء الواقع تحت سيطرتها ، وهو مما ليست على استعداد للتضحية به ، ومن ناحية ثانية كانت هناك عوامل أخرى ، شكلت مصدر قلق لإيطاليا منها :

1. إن إيطاليا لم تكن تملك القوة العسكرية الكافية في مستعمراتها الصومالية لصد هجمات قوات الحركة الصالحية .
2. كان هناك الكثير من القبائل الصومالية في القسم الإيطالي لم تعلن استسلامها الكامل ، ولم تلق سلاحها الأمر الذي كان مبعث قلق للإيطاليين .
3. انزعاج إيطاليا من ميل الشيوخ والسلاطين لمعسكر الشيخ محمد بن عبد الله .
4. خشية إيطاليا من التدخل البريطاني في الصومال الإيطالي حين يأتي البريطانيون لملاحقة الشيخ . (3)

وبتأثير هذه الظروف المحيطة بالموقف في الصومال من ناحية ، وما كانت عليه

---

(1) جمال زكريا قاسم ، العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار(القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث الأفريقية ، 1977) ص 367 .

(2) عبد الصبور مرزوق ، مصدر سابق ، ص 63 .

(3) جمال زكريا قاسم ، مصدر سابق ، 367 .

الحالة السياسية في إيطاليا من ناحية أخرى ، لهذا اتجهت إيطاليا لطلب الهدنة مع زعيم الحركة الصالحية أو عقد مصالحة عامة معه ، ومع حليفتيها بريطانيا والحبشة . انجلى الموقف عن تفويض بريطانيا لإيطاليا لتقوم بعقد معاهدة مع الشيخ محمد بن عبدالله وقد تم ذلك في **16 ـ 17** أكتوبر **1904** في منطقة (اليج) بين الشيخ محمد وبستالوزا ، وبعد تعثر المفاوضات بسب الأهداف الكثيرة المتعارضة ، تمكنت إيطاليا في **5** مارس **1905** من عقد اتفاق بينها وبين الشيخ محمد ، نصَّ على حل المشاكل بين القوى المختلفة بالطرق السلمية ، وعدم اللجوء إلى السلاح ، وأن تكون هناك لجنة لحل الخلافات يرأسها المندوب السامي الإيطالي ، حين تكون الخلافات بين الشيخ واتباعه ، وبين الحكومة الإيطالية أو المندوب البريطاني حين يكون الخلاف مع البريطانيين ، أوفي المنطقة التي يسيطرون عليها في الصومال .

وحدد الاتفاق منطقة سيطرة الشيخ محمد في النوجال بين مجرتينا وهوبيا ، وصارت المنطقة بموجب الاتفاق محمية إيطالية ثالثة تفصل بين المحميتين في مجرتينا وهوبيا ، كما نص الاتفاق على تعيين مندوب إيطالي يحكم المحميات الثلاثة يساعده الشيخ محمد ، واتفق الطرفان كذلك على حرية التجارة ، وحظر الإتجار بالسلاح في الصومال واعترف الاتفاق أيضا لأتباع الشيخ محمد بحرية التنقل بين الصوماليين الإيطالي والبريطاني ، والرعي في مناطق بها آبار واقعة في الصومال البريطاني ، كما نص الاتفاق على أن إيطاليا تكون الحكم فيما ينشب من نزاعات بين الشيخ والقبائل الأخرى ، وتم التصديق على ذلك في **19** مارس **1907** . [1]

إذا القينا نظرة على هذه الاتفاقية ، نجد أنها كانت ـ في حقيقة الأمر ـ فرصة لكسب الوقت لشحذ السلاح ، إذا جاز التعبير ، بالنسبة لكل أطراف الاتفاقية . لأن ما حدث بعد عقدها يبرهن على ذلك . فقد اعتبر الشيخ محمد ما حدث فترة هدنة يجب استغلاله من خلال مد نفوذه حتى ساحل بنادر . وهناك مدته القبائل بالسلاح والعتاد ، حيث بدأ منذ سبتمبر **1908** يهاجم منطقة هوبيا والأراضي الأخرى التي كانت تحت سيطرة الإيطاليين ، كما هاجم الأوجادين وكذلك المستعمرة البريطانية في نفس الوقت ، فما كان من البريطانيين إلا أن انسحبوا تحت ضغط قوته ، وركزوا وجودهم في المدن الساحلية فقط دون الداخلية ، وتوقفت التجارة البريطانية في المنطقة وساء موقف

(1) المصدر نفسه ، ص 368 .

الإيطاليين . (1)

وفي هذا الصدد تذكر بعض المصادر أن عدد الاصطدامات والمعارك بين المستعمرين وأعوانهم ، وبين قوات الشيخ محمد بلغ ثماني عشرة واقعة ، ما بين مصادمات ومصادرات لبضائع خاصة بقوات الحركة الصالحية ، ومحاولات متعمدة لبوار تجارتهم وما إلى ذلك . (2)

أدى تطور الأحداث بكل من بريطانيا وإيطاليا إلى اللجوء للسياسة الاستعمارية المعهودة في مثل هذه الأحوال ، عندما تعجز القوة أمام المقاومة ، وهي سياسة فرق تسد . بإثارة الفتن والمؤامرات وتزييف الحقائق ، والتي كان الهدف منها زعزعة الثقة الدينية في الشيخ محمد بن عبد الله في نفوس اتباعه ، ومن ثم تأليبهم ضده . وبيان ذلك ، أن دفعت القوى الاستعمارية بأحد أعوان الشيخ ويدعى « عبد الله شهاري» الذي أوشى بصاحبه عند شيخ الطريقة محمد بن صالح السوداني في مكة ، مستغلاً في ذلك الخلاف بين الشيخ وعبد الله أفلح الأخير في مهمته وقد رجع في آخر عام **1909** بخطاب من الشيخ محمد بن صالح يدين فيه سلوك الشيخ محمد بن عبد الله ، لأنه خالف القرآن ، وجانب للسنة ، فقتل ، وسرق ، ونهب ، وتبرأ الشيخ من تلميذه وممن تبعه إلى يوم الدين . أحدث هذه الخطاب تأثيرا سلبيا في (اليج) اتجاه الشيخ محمد . إذ أيد القاضي ما جاء فيه ، ورفع البيعة عن الشيخ محمد ، مما أدى إلى تفرق بعض أتباعه عنه ، غير أن معظمهم بقوا معه . (3)

هذه الأحداث لم تفت في عضد المقاومة الصومالية ، ولم تثن من عزيمة الشيخ محمد ، ولم تنطف جذوة الحماس الديني . فلقد تجددت الانتصارات على الإيطاليين والبريطانيين ، حيث وصلت هذه الانتصارات قمتها في أغسطس **1913** حين سيطر على منطقة كبيرة في داخل الصومال على أثر هزيمة الإنجليز في (تليح) ، ومقتل قائدهم الجنرال كوفل . (4)

واجهت حركة المقاومة في الصومال جملة من الصعوبات ، تمثلت في تكاتف

---

(1) المصدر نفسه والصفحة .
(2) عبد الصبور مرزوق ، مصدر سابق ، ص 100 .
(3) جمال زكريا قاسم ، مصدر سابق ، ص 368 .
(4) عبد الصبور مرزوق ، مصدر سابق ، ص 152 .

كل القوى الاستعمارية ضدها . مما حدا بزعيم المقاومة الشيخ محمد أن يلجأ للدولة العثمانية ، وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى ، يطلب الانضواء تحت لوائها والقبول بحمايتها ، نظرا لما تمثله من رمز إسلامي تجله كل البلاد الإسلامية . كما تضمن خطاب الشيخ محمد الموجه لقائد القوات العثمانية في (لحج) ، أنه وقواته يعلنون الجهاد المقدس ضد بريطانيا وإيطاليا باسم الخلافة . مما يدل على قبول الشيخ محمد ابن عبد الله بالتبعية الدينية والسياسية للدولة العثمانية ، وهو ما سوف يتبعه بالضرورة الوقوف إلى جانبها ضد أعدائها . وبما أن أعداء الدولة العثمانية هم نفس أعداء الصوماليين . إذا فالقضية مشتركة ، وبالتالي المصلحة واحدة هي التخلص من العدو المشترك . ولهذا كان لا طريق أمام الشيخ محمد في هذه الظروف إلا التحالف مع الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا حيث وعدتا ببذل العون المادي كالأسلحة والمواد الحربية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . فمن المعروف أن الدولة العثمانية وألمانيا كانتا حليفتين في الحرب العالمية الأولى **1914 ـ 1918** . وكانتا تحاربا معا ضد بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

وعندما اشتدت وطأة الحرب ، واشتد معها أوار حركة المقاومة الصومالية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الله مقابل عجز كلا الحكومتين : البريطانية والإيطالية ، الأمر الذي اضطر البريطانيين إلى أن يسيّروا الجيوش التي كان قوامها الهنود والزنوج والصوماليون الموالون للاستعمار ، وقصفوا المنطقة التي يسيطر عليها الشيخ وأتباعه بالطائرات لضمان القضاء عليهم ، حيث لا مفر أمامهم ، وقد حدث ذلك في **21 / 1 / 1920** . كانت هذه المعركة أشبه بحرب إبادة بالنسبة لقوات الشيخ محمد واجهوا فيها أقسى هزيمة في تاريخهم . (1)

حاول الإنجليز استثمار هذا النصر العسكري في إحراز نصر شامل على الشيخ محمد بأن طلبوا منه التسليم من خلال رسالة بعثت له في **17 / 2 / 1920** ثم أردفت هذه الرسالة بإرسال وفد من كبار الزعماء ومشايخ الطرق الصوفية في الصومال ، لاقناع الشيخ محمد بإلقاء السلاح . وقد تكون الوفد من :

1. الشيخ إسماعيل بن الشيخ اسحق . رئيسا للوفد وهو شيخ الطريقة الصالحية في بربرة .

(1) المصدر نفسه ، ص 197 ، 198 .

2. الشيخ محمد حسين الملقب (جرد) وهو شيخ الطريقة الأحمدية في بربرة .
3. الشيخ عبد الله بن الشيخ مدر ، وهو شيخ الطريقة القادرية في هـر جيسة وغيرهـم ، يصحبهم القاضي الشيخ علي كوحا والشيخ عثمان . (1)

كان جواب الشيخ محمد للوفد يتضمن موقفه الصريح والواضح مـن الاسـتعمار ، وأنه لاتنازل عمّا قامـت مـن أجلـه المقاومـة الـصومالية ، وهـو تحقيـق حريـة ووحـدة الصومال . فما كان من الاستعمار إلا أن لجأ إلى أساليبه في التخلص من رمز المقاومـة الصومالية بـأن دس الجـراثيم المميتـة في ميـاه الـشرب في **14 / 7 / 1920** في منطقـة تجمع أتباع الشيخ محمد ، فحصدت الأمراض الخطيرة الناجمة عن هـذا التلـوث أرواح الآلاف مـن الـصوماليين بمـا فـيهم اتبـاع الطريقـة . وفي يـوم **21 / 12 / 1920** تـوفي الشيخ محمد بن عبد الله حسن نور قائـد حـرب التحريـر الـصومالية ، وزعـيم الحركـة الصالحية ذات الفلسفة والآيديولوجية الراسخة التي منحت الحركة قـوة العمـل والعطـاء المتواصل طوال عشرين عاما . توفي بعـد ان رسـم للـصوماليين طريـق الجهـاد وحـدد هدفه ، وهو تحقيق الحرية والوحدة . (2)

رابعا : نظرة تحليلية للدور الجهادي للحركة الصالحية في الصومال

يكـشف الـدور الجهـادي للحركـة الـصالحية في الـصومال عـن فـترة تحـديات تعرضـت لهـا الأقطـار العربيـة والإسـلامية ، والـصومال مـن بينهـا . حيـث شـهد الربـع الأخير من القرن التاسع عشر تكالب استعماري أوروبي على أفريقيا ، من أجـل كـسب المزيد من مناطق النفوذ الاستراتيجية ، والسيطرة عليهـا سياسـيا وعـسكريا واقتـصاديا ، والعمل على تفتيت وحدتها السياسية والقومية وطمس معالم هويتها الذاتية . فكـان مـن الطبيعـي مجابهـة هـذا الاسـتعمار في حـرب تحريـر أو دفـاع تـؤدي إلى وقـف المـد الاستعماري على كافة الأصعدة سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعليه يمكن القـول إن حركـة المقاومة الصومالية توفرت لهـا العناصـر المطلوبـة لـشن حـرب ضـد قـوى الاسـتعمار الغربي واشتملت على :

1. وجود قيادة قوية تستقطب مشاعر الشعب الدينية ، وتكسب تأييـده وحماسـه وولاءه عبر أقاليم الصومال المجزأة . وهذا توفر في شخص الشيخ محمد بن عبـد الله زعـيم

(1) المصـدر نفسه ، ص 203 .
(2) المصدر نفسـه ، ص 223 .

الطريقة الصالحية في الصومال .
2. مواجهة الاستعمار الذي حاول تجزئه وحدة الأصل واللغة والدين في البلاد .
3. وجود خطر خارجي دولي يسعى لتقسيم البلاد ووضع الحدود ، ويعمل على طمس الهوية الصومالية القومية .

وما من شك أن جميع هذه العوامل مجتمعة شكلت الدافع الأساسي والقوي للجهاد ضد المستعمر . وزادها أهمية وقوة ما تمتعت به شخصية زعيم الطريقة الصالحية محمد بن عبد الله ، من صفات وسمات كان لها الأثر البالغ في تأجيج حركة المقاومة الصومالية ، فالشيخ محمد نشأ نشأة دينية صوفية ترجع للطريقة الأحمدية الرشيدية الصالحية ، هذه النشأة ملأت نفسه بالإيمان والمثل العليا . فضلا عن تمتعه بالفصاحة والبلاغة وقوة الإقناع . هيأت له هذه الثنائية : الدين واللغة ، أن يجمع حوله المريدين والأتباع عن طريق حلقات التعليم والوعظ والإرشاد الصوماليين ، الأمر الذي أضفى على شخصه هيبة واحتراما ، فأطاعه من حوله ، وآمنوا بما يقوله عن التضحية والفداء والجهاد . هذه التهيئة النفسية والتعبئة الروحية كانت عاملا أساسيا لشن حرب مقدسة ضد الاستعمار ، وكان لصفة القيادة الفذة للشيخ محمد بن عبد الله دور كبير في الدفاع عن الدين والوطن .

كذلك كان هناك جانب آخر في شخصية الشيخ محمد بن عبد الله هو قوة الشخصية الهادئة التي يظهرها للناس في حلقات الدرس والوعظ ، هذه السمة استطاع أن يستحضرها في صراعه ضد قوى الاستعمار الغربي ويبثها أيضا في اتباعه .

وهذا القول ـ فيما أرى ـ ينطبق على قيادين آخرين ، مثل : عبد القادر الجزائري في الجزائر ، السنوسيين في ليبيا ، المهدي في السودان وغيرهم . فرغم التمايز بينهم إلا أنهم ارتبطوا بصفات مشتركة منبثقة عن مورثات الطريقة ، التي كانت قوية وراسخة جعلت كل واحد منهم ، يجاهد حتى النهاية سواء كانت هذه النهاية بالنصر او الاستشهاد .

ختاما

كان الدور الجهادى للحركة الصالحية في الصومال يدل بما لا يدع مجالا للشك ، على مدى تمسك الصوماليين وقائدهم زعيم الحركة الشيخ محمد بن عبد الله بلغتهم ، وقوميتهم ، وثقافتهم العربية الإسلامية . وعلى رفضهم للاستعمار الغربي

المسيحي الذي قام بتفتيت الوحدة الوطنية الصومالية .

كلمة أخيـرة

لعـل في ما مرّ بنا في هـذا البحـث يجعلنـا نعـي مـا يواجهــه المـسلمون وديـار الإسلام اليوم من تحديات تستهدف الفكر والذات والوجود . الأمر الـذي يتطلـب منـا أن نعود إلى استنباط الدروس والعبر التي سطرها تاريخنا خلال مقاومته للاستعمار .

فالإسلام يطلب من المسلمين أن يرتفعوا إلى الإسلام على مستوى عـصرهم وأن يتم اللقاء مع هذا المستوى ، وفي هذا العصر ، وعليه يتطلب منا الارتقاء ، والتقدم برؤية جديدة ، يدخل فيها البعد الزمني لندرك عصرنا ووجهة المـستقبل . وتحقيـق هـذا فيمـا أرى ، لايتأتى الا بوضع خطة واقعية وعلمية وعملية تؤدي إلى التغـيير الـذي بـه يـدرك الإنسان المسلم عالمه في سياق عصره ، وفق منهج فكري بعيدا عن التعصب والتخـاذل ، ولا يركن للاختراق الثقافي الغربي وهيمنة الإعلام الأحادي المبني على روح العنـصرية والصراع العقائدي ، الأمر الذي أضحى يهدد ما تتمتـع بـه المجموعـات البـشرية ، مـن خصوصيات وتنوع ثقافي مستمدة من تاريخها وعاداتها وتقاليدها ومعتقـداتها ، وبالبيئـة المحيطة بها .

وبما أن المجمـوعة الإسلامية هي واحدة من هذه المجموعات المهـددة مـن قبـل إعلام العولمة وغياب أو ضعف الإعلام المـضاد أو البـديل . فـإن الأمـر يتطلـب سـرعة تدارك هذه المخاطر لمنع تدفق التيـارات المتطرفـة والأفكـار الخاطئـة الهدامـة ، وذلـك بإتاحة الفرصة الكافية للمفاهيم الصحيحة للثقافة الصوفية الدينية الإسلامية بتقديم البديل المقنع الذي يملأ الفـراغ الموجـود في عقـول الـشباب، ويحـثهم علـى حمـل المـشعل والمضي قدما في سبيل تطور الأمة الإسلامية وتبوؤ مكانتها بين شعوب العالم وإسهامها في بناء صرح الحضارة الإنسانية على أسس التعايش والتبادل والاحترام .